

لكن الامر يتعدى هذا الحد الى أبعد بكثير . فالكلام الذي اكتسب المعنى حق التبشير به، بفضل انتصاره على القديس وعلى الخيانة كذلك ، ان هذا الكلام يفتح على فعل يشتمل على الجلد ، والمحكمة ، والسجن والصلب . عند هذا الحد تتجاوز اللغة مجرد الكلام لتصبح لغة المسامر ، لغة ضحايا كفر قاسم الخمسين ، لغة الصليب الذي يتحول الى منبر وينشد لحنا اسمه : اغنية الدم . يحكم علينا بالاعدام لمجرد اننا تكلمنا ، وكذلك لان كلامنا ينبيء بمأساة الموت على الصليب . ان ذروة التجديد الذي تأتي به الاسطورة يظهر اذن في محتوى الفعل : الصليب في سبيل الحياة الجديدة التي نريدها لمعشوقتنا — فلسطين . ان الايمان بالموت والاستعداد الفعلي للتقدم اليه (بطريقة او بأخرى) ، هما شيان جديان في العالم العربي المعاصر . اننا نجد بعض السوابق لدى ابطال حرب الجزائر وفي دعوات مؤسسي حزب البعث .

اننا نجد انفسنا اذن في قلب المعنى العميق لكلمة : فدائي — اي الذي يقدم نفسه للموت كفدية . ان محمود درويش لا يتلفظ ابدا بهذه الكلمة لكن الاسطورة العميقة التي تعطي معنى لهذه الكلمة هي كذلك التي تحرك كل شعر درويش وشعر رفاقه في الجليل . من الطبيعي اذن ان تجد الفدائيين ، خارج اسرائيل ، يغذون ايمانهم ببناء الصليب الذي يبشرهم به اخوهم من « الداخل » .

ان هذه الاسطورة هي اذن جديدة في اعتقادنا . وهي المصدر المباشر للايديولوجيات الفلسطينية بدرجات متفاوتة . انها الصدى والنداء الصادران من داخل فلسطين ذاتها ، فلسطين المسلوقة الضائعة المحكومة بالاعدام . وهذه الاسطورة هي قبل ذلك سياسية أيضا .

ان شعر درويش مثلا لا يتنبأ بالطبع بأشياء واضحة بالنسبة لمستقبل فلسطين ، لكن اسطورة الحياة التي تولد من الموت والتي تعاش جماعيا ، بحد ذاتها ، لها مدلول سياسي يتفرض الى العيان خاصة في الدور الذي يلعبه الخصم (يطلق عليه غالبا ضمير « هم ») وفي كل مرحلة من مراحل الاسطورة الشعرية . ان الخصم هو الذي ينفذ حكم الاعدام بحق المغني يساعده في ذلك القديس وحينئذ . وفي نهاية الاسطورة نجد ان الخصم هو الذي يغادر فلسطين ثرفا من مهمته ، مهمة تنفيذ حكم الاعدام . اما فلسطين فانها تظل حية وتتجسد من جديد من اجل حياة جديدة — (لا نعرف ما ستكون عليه) — يستعد لها « أطفالنا الآتون » .

بين بداية المأساة ونهايتها هنالك الاغنية ، والسجن ، وفعل المقاومة . وهذه الاخيرة تجري الاشارة اليها في بعض القصائد التي تتحدث عن العاصفة وعن الصاعقة . ان فلسطين سوف تعود مطهرة من كل الرواسب القديمة بفضل حكم الاعدام الذي نفذه الخصم ، هذا الخصم الذي انتهى به الامر قرغانا . ان القصيدة تحت اذن على فعل المقاومة مع الايمان بحياة جديدة .

» من عاش بعد الموت

لو آمنت ... لا يموت »

ان العمق الذي تتميز به الاسطورة الفلسطينية التي تقول بالحياة الجديدة من خلال الموت ، والتي انتشرت في الجليل بعد ٢٠ سنة من الاغتراب ، هي التي تعطي القوة للكفاح الفلسطيني — بكل أشكاله — وهي التي تعطيه كذلك قيمته الشمولية .

التقرير الموجه من مجموعة « الارض » الى الامين العام للأمم المتحدة في ٢٣ حزيران ١٩٦٤

نحن ما زلنا في فلسطين المحتلة ، حول الناصرة . لقد خلفت جماعة « الارض » عام ١٩٥٩ الجبهة الشعبية (العربية) . وكانت هذه